

## شبهة ورد

إثبات صفة الكلام لله تبارك وتعالى والرد على من أنكرها

وبيان الحق في ذلك من الكتاب والسنة

أخي المسلم يا من ابتليت ببعض الشبه والاشكالات قف قليلاً؟ واطلع على أقوال السلف الصالح وأهل العلم الأتقياء وانظر لفهمهم لنصوص الكتاب والسنة، نعل الله أن يفتح على قلبك ويوفقك إلى سواء السبيل .

قال ابن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى :- وَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، أَنَّهُ مُتَكَلِّمٌ بِكَلَامٍ قَدِيمٍ، يَسْمَعُهُ مِنْهُ مَنْ شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، سَمِعَهُ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مِنْهُ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَسَمِعَهُ جِبْرِيْلُ - عَلَيْهِ السَّلَامُ -، وَمَنْ أَدْنَى لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَنَّهُ - سُبْحَانَهُ - يُكَلِّمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكَلِّمُونَهُ، وَيَأْذَنُ لَهُمْ فَيُزَوِّرُونَهُ .أ.هـ.<sup>١</sup>

الآيات الواردة في إثبات صفة الكلام وفهم العلماء لها قدما وحديثا

- ومنها قوله تعالى: { فَأَجْرُهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ }<sup>٢</sup> ، وقوله: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }<sup>٣</sup>

{ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ }<sup>٤</sup> { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ }<sup>٥</sup>

قال الشيخ يوسف الغفص :- أهل السنة يقولون: إن الله سبحانه وتعالى موصوف بهذه الصفة، وأنه يتكلم بحرف وصوت

مسموع، وأن كلامه متعلق بمشيئته وإرادته، فهو يتكلم متى شاء بما شاء كيف شاء، كما يعتقد أهل السنة أن القرآن كلام الله حقيقةً وليس مجازاً. كما أن دلائل اتصاف الرب سبحانه وتعالى بالكلام متواترة في القرآن. فإن قيل: كيف يحصلون هذا؟ قيل:

لأن كل آية نداء في القرآن يجعلونها دليلاً على إثبات الكلام؛ وذلك لأن المنادي لا بد أن يكون متكلماً، فقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا)<sup>٦</sup> ، (يَا أَهْلَ الْكِتَابِ)<sup>٧</sup> ، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) هذه الآيات نداء، فيجعلونها من أدلة إثبات الكلام، وكذلك آيات القول:

(وَقَالَ رَبُّكُمْ)<sup>٨</sup> فإذا أضيف القول إليه سبحانه دل على أنه متكلم، إلى أمثال ذلك<sup>٩</sup> .أ.هـ. قال ابن جرير رحمه الله تعالى ايضاً:-

والوصف بالتكلم من أوصاف الكمال، وضده من أوصاف النقص، قال تعالى: { وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا

سَدًّا لَهُ خُورًا أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا }<sup>١٠</sup>، فكان عبادة العجل مع كفرهم أعرف بالله من المعتزلة؛ فإنهم لم

<sup>١</sup> - لمعة الاعتقاد

<sup>٢</sup> - [التوبة:٦]

<sup>٣</sup> - [النساء:١٦٤]

<sup>٤</sup> - [الشورى: من الآية ٥١]

<sup>٥</sup> - [الأعراف:١٤٣]

<sup>٦</sup> - [البقرة: من الآية ١٠٤]

<sup>٧</sup> - [آل عمران ٦٤]

<sup>٨</sup> - [غافر ٦٠]

<sup>٩</sup> - شرح لمعة الاعتقاد (ص: ٨٠)

<sup>١٠</sup> - [الأعراف:١٤٨]

يقولوا لموسى: وربك لا يتكلم أيضاً. وقال تعالى عن العجل أيضاً: { أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا }<sup>١١</sup> ، فعلم أن نفي رجوع القول، ونفي التكليم نقصٌ يستدل به على عدم ألوهية العجل. وغاية شبهتهم أنهم يقولون: يلزم منه التشبيه والتجسيم! فيقال لهم: إذا قلنا إنه تعالى يتكلم كما يليق بجلاله انتفت شبهتهم، ألا ترى أنه تعالى قال: { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ }<sup>١٢</sup> ، فنحن نؤمن أنها تكلم، ولا نعلم كيف تتكلم، وكذا قوله تعالى: { وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ }<sup>١٣</sup> ، وكذلك تسييح الحصى والطعام وسلام الحجر كل ذلك بلا فم يخرج منه الصوت الصاعد من الرئة المعتمد على مقاطع الحروف. وإلى هذا أشار الشيخ رحمه الله بقوله: (منه بدا بلا كيفية قولاً)<sup>١٤</sup> أي: ظهر منه ولا ندري كيفية تكلمه به، وأكد هذا المعنى بقوله: (قولاً)، أتى بالمصدر المعرف للحقيقة، كما أكد الله تعالى التكليم بالمصدر المثبت للحقيقة النافي للمجاز في قوله: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }<sup>١٥</sup> فماذا بعد الحق إلا الضلال؟ أهـ<sup>١٦</sup>.

- فكثيراً ما يذكر الله تعالى أنه كلم موسى، قال تعالى: { مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ }<sup>١٧</sup> يعني: موسى، وقال تعالى: { وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا }<sup>١٨</sup> ، ولاشك أن هذا كلام صريح على أنه كلم موسى. قال سُبْحَانَهُ { وَمَا كَانَ لِيُشِيرَ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ }<sup>١٩</sup> . وقد ذكر أن رجلاً جاء إلى أبي عمرو بن العلاء أحد القراء السبعة من قراء البصرة، وقال: أريد أن تقرأ هذه الآية هكذا: (وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا) يعني: أن موسى هو الذي كلم الله، وأن الله لم يكلم موسى، فجعل اسم (الله) مفعول به منصوب على أنه هو المكلم. ماذا قال أبو عمرو رحمه الله؟ قال: هب أي أو غيري قرأها هكذا، فكيف تفعل بقول الله تعالى: { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ }<sup>٢٠</sup>! فبهت ذلك المعتزلي، حيث إن تلك الآية لا تستطيع المعتزلة تأويلها ولا تحريفها، ويسمى هذا: تحريفاً لفظياً. ثم ذكر شيخ الإسلام أن المعتزلة حرفوا قوله: { وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ } [الأعراف: ١٤٣] وقالوا: التكليم: هو التجريح، (كلمه) أي: جرحه بأظافر الحكمة، ويريدون بذلك نفي أنه كلمه بكلام سمعه. والتكليم الأصل أنه المخاطبة، والعرب إذا أرادوا التجريح فلا بد أن يكون هناك قرينة تدل عليه، وليس في القرآن هذه اللفظة وإن كانت في اللغة، وفي الحديث: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكَلَّمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كَلَّمَهُ يَدْمَى اللَّوْنُ لَوْ نُؤْنُ دَمٍ وَالرِّيْحُ رِيْحُ مِسْكِ )<sup>٢١</sup> . و بعيد أن يفسر التكليم بأنه التجريح، وذلك لأن المتبادر أنه الكلام. ثم إن تفسيرهم للتكليم بأنه التجريح يردده التصريح بالكلام، قال الله تعالى: { إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي }<sup>٢٢</sup> فصرح بالكلام، ولم يقل: بتجريحي. فلا حيلة لهم في أن يردوا هذه اللفظة. قَالَ مَسْرُوقٌ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ سَمِعَ أَهْلُ

<sup>١١</sup> - [طه: ٨٩]

<sup>١٢</sup> - [يس: ٦٥]

<sup>١٣</sup> - [فصلت: ٢١]

<sup>١٤</sup> - متن الطحاوية

<sup>١٥</sup> - [النساء: ١٦٤]

<sup>١٦</sup> - شرح العقيدة الطحاوية (٦/١٦)

<sup>١٧</sup> - [البقرة: ٢٥٣]

<sup>١٨</sup> - [النساء: ١٦٤]

<sup>١٩</sup> - [الشورى: من الآية ٥١]

<sup>٢٠</sup> - [الأعراف: ١٤٣]

<sup>٢١</sup> - صحيح البخاري - (٢١٠٤/٥)

<sup>٢٢</sup> - [الأعراف: ١٤٤]

السَّمَوَاتِ شَيْئًا فَإِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَكَنَ الصَّوْتُ عَرَفُوا أَنَّهُ الْحَقُّ وَنَادَوْا { مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ } وَيُذَكَّرُ عَنْ حَابِرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَنَسٍ قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ يَحْشُرُ اللَّهُ الْعِبَادَ فَيُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ بَعْدَ كَمَا يَسْمَعُهُ مَنْ قُرْبَ أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدَّيَّانُ }<sup>٢٣</sup>. كذلك آيات النداء: { وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى }<sup>٢٤</sup>، { إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى }<sup>٢٥</sup>، { وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ }<sup>٢٦</sup> ولاشك أن النداء لا يكون إلا بكلام مسموع، فهو يرد تأويلهم التكليم بأنه التجريح، والنداء صوت يسمع ويظهر. كذلك أيضاً الكلام الذي حكاه الله تعالى عن نفسه لموسى وخاطبه به كلام صريح في قوله تعالى: { إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى }<sup>٢٧</sup> { اذْهَبْ } هذا هو الكلام الذي ناداه به: { اذْهَبْ إِلَيَّ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى }<sup>٢٨</sup>، كذلك أيضاً قوله تعالى: { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ }<sup>٢٩</sup> هذا أيضاً كلام صريح، وهكذا قوله تعالى: { إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى وَأَنَا اخْتَرْتُكَ }<sup>٣٠</sup> إلى آخر الكلام، هذا هو الذي سمعه من ربه، أنه ناداه بهذا الكلام: { إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى } ، وكذلك قوله تعالى لما ذكر أنه نودي في الوادي المقدس من الشجرة { يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ }<sup>٣١</sup> لاشك أن هذا هو الكلام، ومن يفهم غير ذلك . فهل يقال: إن هذا تجريح؟ فلاشك أن المعتزلة في تأويلهم وفي تكلفهم قد وقعوا في تحريفهم للكلم عن موضعه، وأشبهوا في ذلك اليهود الذين يجرِّفون الكلم عن مواضعه. وأول من أظهر ذلك القول هو الجهم بن صفوان ، وكان قد أخذه عن شيمته الجعد بن درهم الذي لما قرأ في القرآن أن الله كلم موسى أنكر ذلك وقال: ما كلم الله موسى، وما اتخذ الله اتخذ إبراهيم خليلاً -والخليل هو الحبيب- أنكر ذلك وقال: لم يكن الله ليحب أحداً، ولا ليتخذ أحداً خليلاً. فاشتهرت هذه المقالة عنه فقتل في القصة المشهورة التي ذكرها البخاري بسنده في خلق أفعال العباد، وهي أنه أوثقه أمير الكوفة - خالد القسري ، ثم خطب الناس في يوم العيد، ولما انتهى من خطبته قال لهم: أيها الناس! ضحوا تقبل الله ضحاياكم، فإني مضح ب الجعد بن درهم ؛ فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعد علواً كبيراً. ثم نزل فقتله، فجعله بمنزلة الأضحية التي تذبح في يوم العيد، وكان أضحيته، أي: تقرب بها إلى الله تعالى. وذكر ذلك ابن القيم في أول النونية في قوله:

ولأجل ذا ضحى بجعد خالد القسري يوم ذبائح القران

إذا قال إبراهيم ليس خليله كلا ولا موسى الكليم الداني

<sup>٢٣</sup> - صحيح البخاري ت (١٨/٥١٦)

<sup>٢٤</sup> - [الشعراء: ١٠]

<sup>٢٥</sup> - [النازعات: ١٦]

<sup>٢٦</sup> - [مریم: ٥٢]

<sup>٢٧</sup> - [النازعات: ١٦]

<sup>٢٨</sup> - [النازعات: ١٧]

<sup>٢٩</sup> - [الأعراف: ١٤٣]

<sup>٣٠</sup> - [طه: ١٠-١٣]

<sup>٣١</sup> - [القصص: ٣٠-٣١]

فذكر السبب أنه قال: ليس إبراهيم خليل الرحمن، وليس موسى كليم الرحمن، ولم يكلم الله أحداً من خلقه.

و الأدلة من السنة واضحة أيضاً، منها قوله صلى الله عليه وسلم: ( إذا كان يوم القيامة نادى الله تعالى آدم، فينادي بصوت:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى يَا آدَمُ فَيَقُولُ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ فِي

يَدَيْكَ فَيَقُولُ أَخْرَجَ بَعَثَ النَّارَ قَالَ وَمَا بَعَثَ النَّارَ قَالَ مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ فَعِنْدَهُ يَشِيبُ الصَّغِيرُ<sup>٣٣</sup>

فقوله ( يقول الله تعالى ) و ( فيقول ) تدل على الكلام والحوار المتبادل.

وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيِّكَلُمُهُ رَبُّهُ

لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَلَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ<sup>٣٤</sup> يكلمه ربه بدون مترجم، يسمع كلام الله ويكلمه، ولاشك أن هذه أدلة واضحة.

كذلك أيضاً من القرآن يذكر الله تعالى كلماته، كما في قوله تعالى: { وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ }<sup>٣٥</sup>، وقوله تعالى: {

وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا }<sup>٣٦</sup> (تمت) أي: أنها وصفت بالتمام وبالكمال، وكذلك قوله تعالى: { قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا

لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي }<sup>٣٧</sup>، وكذلك قوله: { وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ

مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ }<sup>٣٨</sup> - وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: - تكلم العلماء على مثل هذه الآيات

وقالوا: كيف ينفد كلام الله؟ ليس لكلماته نهاية وليس لها بداية، والمخلوق له بداية ونهاية، وذلك لأن الله تعالى أخبر بأنه لو أن

بحار الدنيا صارت مداداً - يعني: حبراً - وأن أشجار الدنيا من أولها إلى آخرها صارت أقلاماً، فكتب بتلك الأقلام وكتب بذلك

المداد، وجعل مع البحار مثلها سبع مرات لنفد البحر وكتب به حتى ينفد. مع غزارة البحر، ولتكسرت الأقلام دون أن ينفد كلام

الله. فهذه أدلة واضحة في إثبات صفة الكلام لله تعالى. أ.هـ.<sup>٣٩</sup>

## إعداد

عبد السلام بن إبراهيم العنزيب

Baen121@hotmail.com

<sup>٣٢</sup> - من القصيدة النونية (٥ / ٢)

<sup>٣٣</sup> - صحيح البخاري ت (٤١٤ / ٨)

<sup>٣٤</sup> - (صحيح البخاري ت (٤٧٠ / ١٨)

<sup>٣٥</sup> - [هود: ١١٩]

<sup>٣٦</sup> - [الأنعام: ١١٥]

<sup>٣٧</sup> - [الكهف: ١٠٩]

<sup>٣٨</sup> - [لقمان: ٢٧]

<sup>٣٩</sup> - شرح العقيدة الطحاوية لابن جرير (٥ / ٣٥) - شرح كتاب اعتقاد أهل السنة لابن جرير (٩ / ٦)